الاتجاهات الاعلامية في تغطية نموذج تنظيم الدولة الإسلامية " داعش" وسائل الإعلام العربية أنموذجاً

د: ظمياء حسين الربيعي

الجامعة المستنصرية- العراق

لم يعد خافياً على المتلقي العربي والغربي ما تعنيه جملة او عبارة " الدولة الاسلامية " والتي تطلق عليها بعض وسائل الاعلام مصطلح (داعش) اختصاراً لعبارة ((الدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام)) .

وقد ارتبط مفهوم ومصطلح الدولة الاسلامية بصورة ذهنية لدى ملايين المتلقين بالارهاب والدموية والوحشية وسبي النساء واضطهاد الاقليات الدينية التي لا تنتمي الى الدين الاسلامي في المناطق التي يسيطرون عليها بفعل السلاح او السيطرة العقائدية .

كل هذا وذاك من الصور النمطية التي لا تبتعد عن الحقيقة انما خلقها وصقلها وطورها الاعلام العربي والاقليمي والدولي الذي تعامل بأوجه عديدة مع نموذج الدولة الاسلامية واسهم في تشكيل الصورة الذهنية عنها لدى الجماهير بمستويات متعددة الا ان وسائل الاعلام اجمالاً كانت لها اتجاهاتها في التعامل مع تغطية نموذج الدولة الاسلامية اعلامياً كل منها تبعاً للسياسة الاعلامية التي تنتهجها هذه الوسائل سيما الاعلام العربي ، ويمكن تلخيص هذه الاتجاهات بالاتي:

1- اتجاه اعلامي مضاد بالكامل لنموذج الدولة الاسلامية
2- اتجاه اعلامي متعاطف مع نموذج الدولة الاسلامية
3- اتجاه اعلامي محايد في التغطية مع نموذج الدولة الاسلامية

ولكل من هذه الاتجاهات اسبابها وعوامل الاندفاع فيها وتبنيها من قبل وسائل الاعلام يمكن تفصيلها على النحو الاتي :

أ- الاتجاه المضاد تعامل مع الخبر والمقال والصورة والرأي والتحليل والتفسير وكل انواع التغطية الصحفية بموجةٍ مضادة استخدمت فيها كل الاساليب الاعلامية والفنية للوقوف بوجه نموذج الدولة الاسلامية الذي كان هو الاخر متمكناً في استخدام التكنولوجيا الاعلامية الحديثة لايصال افكاره وعقائده ، وكان التوصيف الاساسي لهذا الاتجاه المضاد هو "الارهاب " لما يسمى بالدولة الاسلامية واعتمدت وسائل الاعلام عبارة (داعش) في سياستها الاعلامية بشكل رسمي اكثر من استخدام عبارة الدولة الاسلامية في توصيف هذا النموذج من الجماعات المسلحة التي حاولت فرض نفسها ووجودها ومعتقداتها الفكرية المتشددة بقوة السلاح وحروب الشوارع حيناً ، وبالارهاب الفكري والمادي حيناً اخر

ونعني هنا بالمادي هو التخويف والترويع للسكان من خلال القاء الرافضين لهم من بنايات شاهقة او القيام بحرق من يمسكون به من القوات الامنية او جلد الرجال والنساء ممن لا يرتضون افعالهم تحت دعوى تطبيق الشريعة الاسلامية وفقاً لاهوائهم وقوانينهم التي سنوها وشرعوها في المناطق التي سيطروا عليها في العراق وسوريا .

هذا الاتجاه المضاد كان يتعمق في التحليل والتفسير وعرض الاخبار والبرامج والاراء والتغطيات الصحفيه الشاملة لمناطق الصراع في العراق وسوريا وكذلك لعملياتهم المنفردة في اوربا ، مثال على ذلك قنوات فضائية ومواقع الكترونية اتضحت سياستها الاعلامية المضادة للتنظيم كقناة الميادين الفضائية وهي لبنانية تبث من بيروت ، واشتهرت بتغطياتها المباشرة والحية من ارض المعركة في العراق كمعارك الموصل او من سوريا ، وكذلك من القنوات التي ترجمت سياستها الاعلامية بالاتجاه المضاد مع تنظيم الدولة الاسلامية قناة السومرية الفضائية ، وهي فضائية عراقية تبث من بغداد ولديها مكتب اقليمي في بيروت ، وايضاً قناة العراقية الفضائية وهي قناة شبه حكومية او رسمية تبث من بغداد ، بالإضافة الى قنوات الحرة والحرة عراق والتي تبث من واشنطن ، اضافة الى قناة RT الروسية والناطقة باللغة العربية ، فضلاً عن قناة DW الالمانية والناطقة باللغة العربية ايضاً ومواقع اليكترونية ومدونات في مواقع التواصل الاجتماعي تبنت هي الاخرى الاتجاه الاعلامي المضاد لنموذج الدولة الاسلامية وارهابها وهناك امثلة اخرى كثيرة لا يتسع الموقف لذكرها في هذا المقال .

ب- اما الاتجاه المتعاطف فهو الاتجاه الاعلامي الذي كان ينتقد عناصر الدولة الاسلامية وبذات الوقت يحاول تقديم المبررات المادية والمعنوية والاجتماعية والاقتصادية التي دفعت مجموعة من البشر او المكونات الاجتماعية للانضمام الى الجماعات المسلحة المعروفة بالدولة الاسلامية ، وبالتالي اصبحوا عناصر ارهابية وعناصر مطاردة من قبل القانون ، هذا الاتجاه الاعلامي المتعاطف كان له بالتأكيد جمهوره المتابع الذي لا يستطيع التصديق بان نموذج الدولة الاسلامية هو نموذج ارهابي .

ان الاتجاه المتعاطف من وسائل الاعلام مع الدولة الاسلامية يتعامل مع مصدر المعلومات ليس فقط من وجهة نظر الاشخاص المتضررين او النساء السبايا المعتدى عليهن او المواطنين الفارين من وحشية تعامل عناصر الدولة الاسلامية ، بل انه كان يتعمد نقل معارك واخبار عناصر التنظيم من مصادر منتمية لهم او نقل ما يأتي لهذه الوسائل من خلال وكالة (اعماق) الاخبارية العائدة الى تنظيم الدولة الاسلامية الارهابي ، اذن الاتجاه المتعاطف كان وما يزال يتبنى اخبار الدولة الاسلامية ويتضح هذا الامر من خلال تحليل بسيط للمفردات التي تطلقها عليهم كأن تسمي المنتمين للتنظيم ب " جنود الخلافة " او " قيادي في الدولة الاسلامية " بدلاً من من تسمية " ارهابي في داعش " ، اما الضحايا لداعش فكانت تسميهم هذه الوسائل الاعلامية ب " القتلى " مع انهم في حقيقة الامر هم ضحايا الصراع الفكري والعقائدي المسلح للدولة الاسلامية مع الحكومات والانظمة الرسمية سواء في العراق او سوريا او دول

اوربا ، ويمكن ذكر عدة امثلة على هذا الاتجاه المتعاطف مثل قنوات فضائية معروفة ولديها جمهور واسع كقناة العربية والعربية الحدث وهي قنوات سعودية تبث من دبي في الامارات العربية المتحدة ، وايضاً هناك قناة الجزيرة الفضائية وهي قطرية تبث من الدوحة وقناة العربي القطرية وقناة الشرقية وهي عراقية تبث من عدة ستوديوهات في دبي وعمان ولندن وقناة الرافدين الفضائية وهي عراقية تبث من مدينة الانتاج الاعلامي في مصر ، فضلاً عن المئات من الحسابات الاليكترونية التي راحت تغرد ضمن مواقع التواصل الاجتماعي وعلى وجه الخصوص في موقع (تويتر) الذي كان يشهد سجالات ومعارك لفظية اعلامية بين الالاف من المشتركين .

ج- الاتجاه الاعلامي الثالث فهو المحايد : وهذا ما اتبعته الكثير من وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة والاليكترونية من باب عدم زج نفسها في صراعات لا تعنيها ، وهذا النموذج يرتبط على الاغلب بالبعد الجغرافي عن مناطق الصراع ، او بالمصالح التي يترتب عليها وجود الصراع المسلح او الوجود الفكري والعقائدي لتنظيم الدولة الاسلامية .

ويكتفي الاتجاه المحايد بنقل المعلومة المجردة عن وجود المعارك وسيرها في مناطق الصراع او توقفها او تقديم الاعداد الجافة والمجردة عن النازحين من مناطق الصراع والحروب الدائرة بين الدولة الاسلامية والقوات الامنية للحكومات من دون الخوض في التحليل والتفسير لهذه الاخبار والمعلومات لتظل تغطياتها محايدة ومجردة من دون شرح او تبني لرأي معين في هذه الوسائل .

ومثال على ذلك بعض القنوات الفضائية الاجنبية الناطقة بالعربية كقناة الصين الناطقة بالعربية CCTV على سبيل المثال وكذلك بعض القنوات المصرية التي لا تهتم بنقل اخبار تنظيم الدولة الا بقدر تعلق الامر بمصر وما يحصل فيها من عمليات ارهابية محدودة حدثت في سيناء ، وايضاً المواقع الاليكترونية التي اهتمت بالجانب الترفيهي او التعليمي وابتعدت في سياستها الاعلامية عن نقل اخبار المعارك مع تنظيم الدولة الاسلامية ولم تشترك بنغطيتها اعلامياً

الارهاب الاعلامي :

عرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الممارسات الارهابية على انها " بث الرعب الذي يثير الخوف والفعل الذي تحاول من خلاله جماعة او منظمة او حزب ان يحقق اهدافه عن طريق استخدام العنف ، وتوجه الاعمال الارهابية ضد الاشخاص سواء كانوا افراداً او ممثلين للسلطة ممن يعارضون اهداف هذه الجماعة ". (1)

وقد قدمت وسائل الاعلام والاتصالات بكل صنوفها خدمة غير مقصودة للتنظيمات الارهابية حيث قامت هذه التنظيمات باستغلال التطور في خدمة اغراضها غير المشروعة من خلال نقل الافكار والبيانات والتوجهات ما بين الجماعات الارهابية ، كما امنت انظمة المعلومات الاليكترونية الحديثة ايضاً تدفق سيل من المعلومات اللازمة لهذه الجماعات من اجل تنفيذ عملياتها الارهابية سواء

بالحصول على خرائط المدن وعدد سكان المناطق المستهدفة والحصول كذلك على اسماء العشائر المشهورة في تلك المناطق والتمكن من اختراقها ومعرفة الثغرات الامنية في تلك المدن عبر وسائل الاعلام سواء كانت المرئية (الفضائيات) اوالاليكترونية عن طريق المواقع الاخبارية او مواقع التواصل الاجتماعي مما خلق لنا بالتالي ارهاباً اعلامياً معلوماتياً ساهم في انتشار انماط جديدة من الارهاب صار لها القدرة على تحقيق الاضرار الفكرية والمادية والمعنوية في الكثير من البنى التحتية التي يستهدفها عناصر الدولة الاسلامية حتى دون ان يكونوا مضطرين للمواجهة العسكرية مع الاجهزة الامنية ، وتعد شبكة الانترنت اهم وسيلة اتصالية بين اعضاء الخلايا الارهابية سيما تنظيم الدولة الاسلامية اذ ساعدتهم هذه الشبكة في الاتصالات او التجنيد والتوجيه وحتى الحصول على التمويل .

اصبح الارهاب الاعلامي واقع حال ملموس لا نكتفي بالنظر اليه على انه الارهاب الاليكتروني حصراً هذا الامر غير دقيق فالارهاب الاعلامي صار متغلغلاً في وسائل الاعلام كافة وبشكل خاص الاعلام المرئي من خلال سياسته الاعلامية عبر نقل وجهات نظر المتعاطفين مع الدولة الاسلامية او التعاطف مع المقاتلين الاجانب الذين عادوا الى اوربا بعد انتهاء الصراع في بعض المدن او تقديمهم على انهم ضحايا تم التغرير بهم وضرورة منحهم فرصة اخرى لبدء حياة جديدة في بلدانهم من دون تقديمهم للمحاكمة القانونية على الجرائم التي ارتكبوها في ظل عملهم مع الدولة الاسلامية ، كل ذلك يسهم في تبسيط فكرة الانتماء للتنظيم والتخلص منه من دون محاكمة قانونية او دون وجود رادع .

وجود هكذا برامج وحوارات تسهم في تنمية الارهاب اعلامياً لانها لا تعمل وفق منهجية تربوية صارمة ازاء من ينتمي الى الدولة الاسلامية والعمل كأرهابي معهم او متعاون او ممول مالي ، فضلاً عما سبق فان عملية نشر الفيديوهات الارهابية لتنظيم الدولة يسهم في الارهاب الاعلامي بشكل فعال من خلال ايصالها لاكبر عدد ممكن قد يصل الى ملايين الناس في لحظات معدودة .

- اخيراً لابد لنا من وقفة مع التغطيات الاعلامية المنطلقة من السياسية الاعلامية للوسيلة والتي قامت بها اغلب وسائل الاعلام بكل انواعها وصنوفها وكانت في كثير من الاحيان على قدر كبير من التناقض ، اذ وقعت اغلب هذه الوسائل في فخ الترويج للدولة الاسلامية اكثر من وقوفها بوجه الظاهرة الارهابية ، اذ ركزت وسائل الاعلام العربية وكذلك الاقليمية والدولية بصورة عامة على الحدث اكثر من التركيز على الظاهرة اي منح العمليات الارهابية اهتماماً اكبر مما تمثله ظاهرة الارهاب باسبابها وجذورها وابعادها وطرق تمويلها .
- كذلك فان هيمنة الطابع الاخباري على التغطيات الاعلامية وسرعة تقديم المعلومة وسطحيتها واحياناً سطحية الضيف الذي تقوم وسائل الاعلام باستضافته لغرض تحليل المعلومات ، مما

يجعل الاهتمام ينصب على تساؤل واحد وهو : ((ماذا حدث ؟)) ومن ثم ينتهي هذا التساؤل بانتهاء التغطية الاعلامية المتعجلة والسريعة وغير المعمقة للحدث والظاهرة الارهابية .

- عدم التوازن في التغطيات الاعلامية في التعامل مع تنظيم الدولة الاسلامية اذ ان تشتت الرؤية الاعلامية للحدث ما بين وسيلة اعلام واخرى يجعل التعامل مع الحدث الارهابي بصورة مجتزئة وغير متصلة بما يحيط به من حيثيات وعدم وجود التناغم ما بين وسيلة واخرى للاتفاق على شن حملة اعلامية منظمة ومنسجمة للقيام بحرب اعلامية لا هوادة فيها ضد الارهاب الذي يمثله نموذج الدولة الاسلامية وغيره من التنظيمات الارهابية .
- ايضاً هناك وسائل اعلامية كانت تتعاطف مع اخبار الدولة الاسلامية وقعت ايضاً في فخ التناقض في تغطياتها الاعلامية بعد ان فضحتها عواطفها ومنطلقاتها العقائدية وعودتها مرة اخرى للمهاجمة على نموذج الدولة الاسلامية في تغطياتها اللاحقة مما جعلها مهتزة في نظر شريحة واسعة من الجمهور وفقدان مصداقيتها بالتالي .
- اغلب التغطيات الاعلامية العربية على وجه الخصوص اتسمت بالعفوية والارتجال ولم تعتمد على قواعد وعلم الاعلام والتأثير ، الامر الذي يجعلها فاقدة للاطار المرجعي الذي يحقق لها التماسك واعلى نسب من التأثير .

ولكن لابد من الاشارة الى ان الصراع الاخباري المعلوماتي كان قائماً ايضاً في معظم هذه التغطيات الاعلامية مع نموذج الدولة الاسلامية الذين كانوا يلجأون الى ايصال معلومات تفيد بانهم متماسكين او الترويج الى قياهم بعمليات ارهابية مضادة لهزائمهم في العراق وسوريا ، كأن يقوموا بعمليات فردية في اوربا كما حصل في فرنسا والمانيا وغيرها من الدول التي طالتها يد الارهاب . هذه العمليات او الاخبار التي يبثونها عبر مواقع اليكترونية كانت تعكس الصراع الداخلي الذي تعيشه هذه الجماعات مع وسائل الاعلام التي نجحت حتماً بايصال فكرة مبدئية عن هزيمة تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والتحذير من انطلاقه عبر بوابة دول اخرى .

المصادر:

1- احمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1974.